دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	وكالة السلطان الأشرف قايتباي وملحقاتها بالمدينة المنورة (886 - 888هـ / 1481 - 1483م): دراسة وثائقية معمارية
المصدر:	مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية
الناشر:	جامعة طيبة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المؤلف الرئيسي:	صالح، ياسر إسماعيل عبدالسلام
مؤلفين آخرين:	الحارثى، عدنان محمد بن فايز(م. مشارك)
المجلد/العدد:	مج7, ع14
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2018
الصفحات:	755 - 801
رقم MD:	903617
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex, AraBase
مواضيع:	العمارة الإسلامية، الوكالة، الدولة المملوكية، السلطان الأشرف قايتباي، المدينة المنورة
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/903617

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

وكالة السلطان الأشرف قايتباي وملحقاتها بالمدينة المنورة (٨٨٦-٨٨٨ هـ/١٤٨١- ١٤٨٣م) "دراسة وثائقية معمارية"

أ. د. ياسر إسماعيل عبد السلام صالح

أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية بجامعتي القاهرة والطائف

yasser_ismail2007@yahoo.com

أ. د. عدنان بن محمد فايز الحارثي

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية جامعة أم القرى

تاريخ التحكيم: ٨/ ٢/ ١٤٣٨ تاريخ الإفادة: ١٢/ ٤/ ١٤٣٨

المستخلص:

يتناول البحث دراسة تاريخية حضارية معمارية وثائقية لإحدى المنشآت التجارية المملوكية الجركسية المندثرة وهى وكالة السلطان قايتباي وملحقاتها المعمارية التي كانت تقع ضمن المجمع المعماري الذي شيده السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي في المدينة المنورة عام (٨٨٦-٨٨٨هـ/ ١٤٨١- ١٤٨٣م) الذي كان له دور واضح في تطور ورسم ملامح عمران محيط المسجد النبوي الشريف وكذلك المدينة المنورة خلال العصر المملوكي الجركسي وهو ما انعكس على تطور الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بالمدينة خلال تلك الفترة. وتركز الدراسة على وحدة الوكالة وملحقاتها من خلال ما ورد عنها في المصادر التاريخية، وكذلك من خلال الوصف الدقيق لها ولوحداتها في وثيقة وقف السلطان قايتباي،

ومحاولة وضع تصور لمخططها وما تضمه من وحدات. من نتائج البحث: الأثر الواضح لمنشآت السلطان قايتباي بالمدينة المنورة في تطور ورسم ملامح عمرانها خلال العصر المملوكي الجركسي. أن الهدف الرئيسي من إنشاء هذه الوكالة وملحقاتها ليس الربح المادي وإنما تقديم الخدمات الخيرية لسكان المدينة المنورة وزوارها غير القادرين، تفرد وكالة قايتباي بالمدينة المنورة باشتمال مخططها على غالبًا ما يوجد في العصر المملوكي ضمن منشآت دينية أو مستقلة. توصي الدراسة بضرورة حصر وتجميع وثائق وحجج وقف المدينة المنورة خلال العصر المملوكي والاستفادة منها في محاولة رسم ملامح عمرانها وأبرز منشآتها ووظائفها خلال هذه الفترة.

الكلمات المفتاحية:

المدينة المنورة، السلطان قايتباي، وثائق، وكالة، وقف، الدشيشة.

تقديم

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على قسم مهم من المجمع المعماري الضخم الذي شيده السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي في المدينة المنورة عام (٨٨٦-٨٨٨هـ/ ١٤٨١-١٤٨٣م)، وهى كتلة الوكالة وملحقاتها، وماهية الوظائف التي كانت تقوم بها، ومكوناتها المعمارية، وطريقة توزيعها.

وقد اهتمت الدراسات التي تناولت أعمال السلطان قايتباي بالمدينة المنورة بتلك الوحدات التي لها وظيفة دينية فقط لاسيما المدرسة والرباط[١]، دون الاهتمام بباقي وحدات منشآته الأخرى لاسيما الوكالة وملاحقها مع أهميتها المعمارية والوظيفية، وعلى الرغم من الحديث عنها، ووصفها، وتحديد موقعها باعتبارها جزءا من مجمع قايتباي بالمدينة المنورة، وكذلك ذكر ما تم عليها من أوقاف سواء في المصادر التاريخية المعاصرة[٢]، أو في حجة وقفه الشاملة المؤرخة في ٥ ربيع الآخر عام ٨٨٨هـ[٣]، إلا أنه لم تفرد لها دراسة مستقلة، وربما يرجع ذلك إلى اندماج وارتباط كتلة المدرسة والرباط معمارياً ووظيفياً بتلك العمارة التي قام بها السلطان قايتباي بالمسجد النبوي، فضلاً عن اندثار وحدات هذا المجمع، وهو ما دفعنا إلى دراسة هذه الوكالة وما كان يلحق بها من وحدات معمارية، معتمد في ذلك على ما ورد عنها في المصادر التاريخية، وحجة وقف السلطان قايتباي الشاملة.

وحقيقة الأمر فإن سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٣٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

---

(١) Abouseif, Qaytbay 's foundation in Medina, vol.2, pp.61-71; Abouseif, Qaytbay 's Madrasahs in the Holy Cities, pp.129-147;

الحارثي، عمارة المدرسة في مصر والحجاز، مج١، ص٢٢٦- ٢٥٢؛ مج٢، لوحات٥٣-٥٦.

(٢) والتي منها على سبيل المثال: السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى.

(٣) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، سجل عربي ١١١٨.

عملوا على الاهتمام ببلاد الحجاز بشكل عام، والمدينتين المقدستين بشكل خاص[١]، لكون هذه البلاد تضم الأماكن المقدسة الإسلامية، وتتعلق بها قلوب المسلمين في كل مكان بالعالم الإسلامي، ولما لهذه الرعاية من تأكيد لزعامة المماليك للعالم الإسلامي[٢]، هذا فضلا عن الدوافع السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، ويمكن تلمس مظاهر هذه الرعاية فيما أنفقه المماليك على المدينتين المقدستين وما بذلوه لعمارة المنشآت والإصلاحات والترميمات للعمائر بهما[٣]، وقد حظي سلاطين المماليك في مقابل ذلك بميزة الدعاء لهم على منابر الحرمين الشريفين، وكان ينظر للسلطان المملوكي في ذلك العصر بأنه حامي الحرمين الشريفين[٤].

وقد كان لسلاطين المماليك الكثير من أعمال البر والمنشآت في مكة والمدينة المنورة[٥]، ومن ذلك ما أوقفوه عليهما من أوقاف[٦] منها وقف السلطان برسباي على أغوات الحرم المكي[٧]، ووقف الدشيشة، ووقف السلطان قايتباي المحمودي لشراء قمح الدشيشة لفقراء الحرمين الشريفين[٨]، وبعد قايتباى ظل

---

(١) عبدالتواب، قايتباي المحمودي، ص٢٠٥.

(٢) عن اهتمام الحكومات المصرية بالحرمين الشريفين قبل العصر المملوكي ينظر على سبيل المثال: بدرشيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص٨.

(٣) بدرشيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص٢٠.

(٤) بدرشيني، أوقاف الحرمين الشريفين، ص٣٩.

(٥) Abouseif, Qaytbay 's foundation in Medina, p.67-68.

(٦) بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني، ص٢- ٢٣.

(٧) للمزيد عنها ينظر: حجة وقف السلطان برسباي أرشيف وزارة الأوقاف المصرية، رقم ٨٨٠ ق، مؤرخة في ١٦ من جمادي الآخر ٨٢٧هـ.

(٨) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٦، ص٢٠٧.

يضاف إليه من السلاطين اللاحقين، واستمر هذا الوقف حتى العصر العثماني[١].

وقد اهتم سلاطين المماليك وأمراؤهم بتعمير المدينة المنورة، ويظهر ذلك جلياً من خلال عمائرهم ومنشآتهم الدينية والخيرية وغيرها، فكان منها المدارس[٢]، والأربطة[٣]، والبيمارستانات[٤]؛ والأسبلة، وعيون المياه، والمطاهر، والاستحكامات الحربية، وغير ذلك من المنشآت.

كما أولى سلاطين المماليك اهتماماً كبيراً بعمارة وترميم المسجد النبوي الشريف، لاسيما بعد حريقه الأول سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٥م[٥]، وعندما تولى الأشرف قايتباي الحكم التزم الطريقة التي سار عليها من قبله من السلاطين، حتى أصيب المسجد بحريقين قام على أثرهما قايتباي بعمل عمارتين به، الأولى كانت عام ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م[٦].

وقد بقي المسجد النبوي الشريف محتفظا بالعمارة التي جددها ابن الزمن[٧] في نهاية عام ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م حينما اصاب المسجد النبوي حريق هائل[٨]، فأمر

(١) الإسحاقي، لطائف أخبار الأول، ج٢، ص١٧٨.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٦٤٣؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص٧.

(٣) النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٣٣٥؛ الانصاري، آثار المدينة المنورة، ص١٩٠.

(٤) السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٦٥.

(٥) للمزيد عن هذا الحريق ينظر على سبيل المثال: أبوشامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، ص ١٩٤؛ السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٥٩٨-٦٠٠؛ الشهري، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، ص٢٠٤- ٢١٣.

(٦) الشهري، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، ص٣١٠- ٣٣٨.

(٧) محمد بن عمر (٨٩٧هـ/ ١٤٩١م).

(٨) للمزيد عنها ينظر على سبيل المثال: السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٦٣٣؛ الشهري، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، ص٣٣٩- ٣٤٦.

السلطان قايتباي بتعمير المسجد وبناء ما تهدم منه[١]، مع استحداث مجمع ضخم ضم مدرسة ورباطا ووكالة ومجموعة ملحقات خدمية أخرى بالجانب الغربي بين باب السلام وباب الرحمة.

وتعتبر كتلة الوكالة وملحقاتها، الوحدة المعمارية الثانية من هذا المجمع، الذي أقامه السلطان على أرض ملكه، بعد أن اشترى ثلاثة مبان قديمة بمقتضى مستندات شرعية، وهدمها وأعدها لبناء مجمعة[٢]، منها دار العياسي[٣]، وقاعة الحوبانية[٤]، ولا شك أن بناء مجمع ضخم لمنشئ واحد بعد هدم مجموعة من المباني ساعد على إيجاد تنظيم عمراني، وتطور ورسم ملامح محيط المسجد النبوي الشريف خلال العصر المملوكي الجركسي.

وعن مُنشئ هذه الوكالة وملحقاتها المعمارية موضوع الدراسة، فهو السلطان الأشرف سيف الدين أبو النصر قايتباي المحمودي الظاهري الجركسي[٥]، ولد عام ٨٢٦هـ/١٤٢٣م، في منطقة القفجاق[٦]، ووفد إلى مصر عام ٨٣٩هـ، اشتراه

---

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٦٣٩- ٦٤١، ٦٤٥؛ الشهري، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، ص٣٤٩-٣٥٠.

(٢) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، سجل عربي ١١١٨، ورقة ٢٩- ٣٠.

(٣) في الأصول: العباسا، وهم العياسا أو العياسي وهم الأشراف بنو عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم الحسيني وهو جد العياسا. السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، هامش٥، ص٤٢٥-٤٢٦.

(٤) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، سجل عربي ١١١٨، ورقة٣٠؛ والمدرسة الحوبانية أو الجوبانية: أنشأها الأمير الكبير نائب المملكة القآنية وأتابك العساكر المغولية. السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ج٢، هامش٢، ص٤٢٤.

(٥) للمزيد عن نشأة قايتباي وتسلطنه ينظر على سبيل المثال: عبدالتواب، قايتباي المحمودي، ص٩-١٣.

(٦) للمزيد عنها: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، ص٤٥٦- ٤٥٧؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٦٦٣.

السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥هـ/ ١٤٢٢م)، وبعد وفاته اشتراه السلطان الظاهر جقمق (٨٤٣-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م)[١].

ومنذ ذلك الوقت أخذ قايتباي يترقى في المناصب حتى تسلطن يوم السادس من رجب عام ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م وتوفي يوم السبت حادي عشر ذي القعدة عام ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م، فكانت مدة سلطنته تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحدا وعشرين يوماً[٢].

وبذلك يكون قايتباي الخامس عشر من سلاطين الجراكسة[٣]، وهو آخر من حج منهم بمصر، والسلطان الوحيد من سلاطين الجراكسة الذي تمكن من تأدية فريضة الحج[٤]، وفي أثناء زيارته المدينة أنفق على أهلها من الصدقات والأعطيات[٥]، وأمر بإلغاء المكس[٦]، كما وقف ستين ألف دينار على أهل المدينة المنورة لشراء عدة أماكن وربوع في مصر[٧] لعمل الدشيشة، وتوزيع الخبز، والزيت يومياً[٨]، وقد أشارت حجة وقف قايتباي على تجهيز سماط لعمل الدشيشة، والبر بالمدينة المنورة[٩].

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٠١.

(٢) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٢٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٠٦؛ الملطي، نزهة الأساطين، ص١٤٣- ١٤٦.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، طبعة مطابع الشعب، ج٢، ص٣٩٣.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٩١- ١٩٢؛ النجم عمر بن فهد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٤، ص٦٤٥؛ Abouseif, Qaytbay 's foundation in Medina, p.61.

(٥) ابن فهد، اتحاف الورى، ج٤، ص٦٤٥- ٦٤٩؛ الجزيري، درر الفوائد المنظمة، ٣٤٩-٣٥٠.

(٦) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٤٢٦.

(٧) العمري، المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، ص١٧٣.

(٨) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٦٥. للمزيد عن حياة وأعمال السلطان قايتباي المعمارية والخيرية ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ص٢٠١: ٢١١.

(٩) حجة وقف السلطان قايتباي، مؤرخة في ١٥ ذي الحجة سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م، أرشيف دار الكتب والوثائق القومية المصرية، أوقاف رقم ٨٩٠ ق.

❐ الموقع (خريطة ١):

حدّدت وثيقة وقف السلطان قايتباي موقع الوكالة، بأنها تقع على (خط الشارع الموصل منه إلى باب السلام احد أبواب المسجد النبوي... تجاه المدرسة الموصوفة -مدرسة قايتباي-)[١]، وهو الموقع الذي أكدته المصادر التاريخية المعاصرة، فقد حدد السمهودي موقع الوكالة وملاحقها بقوله: (... وقد شرعوا في عمارة سبيل وفرن وطاحون، ومطبخ للدشيشة، ووكالة ذات حواصل في الدور الأرضي التي اشتراها قبل ذلك السلطان من دور العياسي وما يلى ذلك من جهة القبلة"[٢].

أي أن الوكالة وملحقاتها كانت تقع على شارع باب السلام، الذي يفصل الوكالة عن كتلة المدرسة الوحدة الرئيسية بالمجمع[٣]، وإلى الجنوب الغربي من المسجد النبوي الشريف، وتشغل الفراغ الواقع إلى الجنوب من كتلة مدرسة ورباط قايتباي، ويفصل بينهما شارع باب السلام (خريطة١)، بحيث تشرف عليه بواجهتها الشمالية، كما كانت تشرف بواجهتها الشرقية على زقاق الميضأة[٤]، الذي يبدو أنه عرف بعد ذلك باسم زقاق سوق الخياطين[٥]، أما واجهتها الغربية فكانت تشرف على زقاق سقيفة الرصاص، وجاءت الجهة الجنوبية حبيسا لا تشرف على شوارع (لصق جار).

---

(١) مدرسة السلطان الأشرف قايتباي. وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، سجل عربي ١١١٨، ورقة ٣٠.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٤٢٥-٤٢٦

(٣) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣٠.

(٤) ربما نسبة إلى الميضأة التي عند باب السلام إنشاء المنصور قلاوون الصالحي عام ٦٨٦هـ. السخاوي، التحفة اللطيفة، مج١، ص١١٣.

(٥) وذلك وفقًا لما ورد في خريطة مصلحة المساحة المصرية التي تم رسمها عام ١٩٥٢م (خريطة١).

وقد خضعت عمارة هذه الوكالة وباقي وحدات المجمع في تكوينها المعماري وتوزيعها وفقًا لمساحة وموقع الأرض التي أقيمت عليه، التي كانت في الأصل مباني قديمة، ولم تكن هذه الأرض مساحة واحدة بل كانت تقع على جانبي شارع باب السلام، حيث قام السلطان بتوزيع وحدات مجمعه على هذه المساحة وفقًا لوظيفة كل وحدة، حيث استغلت المساحة الملاصقة للمسجد النبوي من الجهة الجنوبية الغربية لبناء المدرسة بشكل مندمج معماريًا مع الجدار الغربي للمسجد النبوي، ويلاصقها من جهة الغرب كتلة الرباط (شكل١، ٢)، في حين استغل باقي مساحة الأرض المقابلة لها عبر شارع باب السلام في إقامة الوكالة وملاحقها المعمارية الأخرى، وهو هنا يذكرنا بمعالجة المجمعات المعمارية المملوكية بمدينة القاهرة لاسيما تلك الواقعة على جانبي شارع القصبة (شارع المعز)[١].

وحقيقة لقد كان المعمار موفقًا في توزيع هذه الوحدات وربطها بالمسجد النبوي ربطًا سليمًا يكشف عن سعيه وراء تحقيق وظيفة هذه الوحدات التي تخدم وظيفة المسجد، وما يحيط به، وكذلك المدينة المنورة ككل.

وموقع الوكالة يدل على مدي براعة المعماري في إدراك طبيعة الموقع والمساحة المتاحة لبناء الوكالة، وقد نجح في التوفيق بين ذلك وبين طبيعة استخدام المبني للأغراض التجارية، وغيره من وظائف أخرى خيرية حرص الواقف على تقديمها لسكان المدينة المنورة والمترددين على المسجد النبوي، وتمكن من توزيع هذه الوحدات على المخطط العام للوكالة بما يتناسب مع طبيعة كل وحدة ومتطلبات تخطيطها، وما تقوم به من وظائف.

إذ يلاحظ من خلال الخرائط المساحية، وما ورد من توثيق لوحدات وأجزاء

(١) الكحلاوي، أثر مراعاة اتجاه القبلة، ص١٢٥-١٢٦.

الوكالة وملاحقها كيف وضع المعمار موقع الحوانيت بالواجهة الشمالية للوكالة بالجهة الغربية من الواجهة ناحية السوق وشارعه الرئيسي: (... بأول هذه الواجهة من ناحية السوق ثلاثة حوانيت معده للأجرة...)[١]، وفي أكبر أقسام الطريق الذي يتقدمها اتساعـًا، بما يتناسب مع وظيفة الحوانيت المعدة للأجرة بغرض البيع والشراء، مع الوضع في الاعتبار موقع الوكالة وعلاقتها بالمسجد النبوي الشريف وأحد أهم مداخله، وهو باب السلام.

حيث حرص المعمار أن تكون هذه الحوانيت على شارع رئيسي، وبالقرب من مدخل رئيسي للمسجد النبوي الشريف، وكذلك الحال بالنسبة لمدخل الوكالة الذي جاء يتوسط كتلة الواجهة الشمالية في مواجهة الشارع الرئيسي (شارع باب السلام)، نظراً لما يرتبط بها من حركه دائمة لدخول وخروج البضائع والتجار وغيرهم، في الوقت الذي حرص فيه أن تكون وحدة السبيل ذات الشباكين في الزاوية الشمالية الشرقية للمنشأة، وهى بذلك أقرب وحدات المنشأة لباب السلام، وتطل على شارعين يرتبطان، ويتقابلان عند هذا الباب، وما يرتبط به من حركة خروج ودخول كثيفه، حرصـًا منه على قيام هذه الوحدة المعمارية بوظيفتها من خلال توفير المياه العذبة لأكبر عدد ممكن من المصلين، مع ارتباط الطلاب من فقراء المسلمين الذين يدرسون في الكتاب الملحق أعلى السبيل بالمسجد النبوي، وما يتم فيه من شعائر دينية ودروس فقهية.

هكذا نجد أن المساحة والموقع تحكما في وضع الوحدات المعمارية للوكالة وملاحقها على المخطط العام بشكل كبير[٢].

---

(١) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة ٣٠.

(٢) جدير بالذكر أن الباحث الثاني اعتبر في دراسته عن عمارة المدارس في مصر والحجاز ووفقـًا لما كان =

❐ تاريخ إنشاء الوكالة:

أنشأ هذه الوكالة وملحقاتها السلطان قايتباي ضمن عمارته الكاملة للمسجد النبوي الشريف، بعد الحريق الذي أصابه سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م[١]، حيث شرعوا بعد إتمام عمارة المسجد والمدرسة[٢] والرباط (... في عمارة سبيل وفرن وطاحون ومطبخ للدشيشة ووكالة ذات حواصل)[٣]، وكان موقع منشآته هذه بين بابي السلام والرحمة[٤]، وكان المتولي عليها الخواجا شمس الدين محمد بن الزمن[٥]، الذي كان متولياً لعمارة المسجد النبوي، وأرسل معه البنائين والنجارين والمرخمين والكثير من مواد البناء ومستلزماته[٦]، وقد تم الانتهاء من هذه المجموعة في سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م[٧].

=

متاح أنذاك من وثائق ولوحات أرشيفية، أن هذه المنشأة هي المدرسة الباسطية التي أنشأها القاضي عبدالباسط (٨٤١-٨٤٢هـ/ ١٤٣٧-١٤٣٨م). الحارثي، عمارة المدرسة في مصر والحجاز، مج١، ص٢٢٦- ٢٥٢؛ مج٢، لوحات٥٣-٥٦.

(١) ينسب الى السلطان قايتباي عمارتين للمسجد النبوي الشريف، الأولى: كانت عام ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م، والعمارة الثانية: كانت عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م. للمزيد ينظر: السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٣٨١، ٣٩٥، ٤٢١؛ الشهري، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي، ص٣٠٥- ٣٨٣. Abouseif, Qaytbay 's foundation in Medina, p.67-68.

(٢) النابلسي، الحقيقة والمجاز، ص٣٣٥.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٤٢٥.

(٤) ابن اياس، بدائع الذهور، ج٣، ص١٩٩.

(٥) عنه وأعماله المعمارية في مكة والمدينة ينظر:

Abouseif, Qaytbay 's Madrasahs in the Holy Cities, pp.132-133, note 14;

شافعي، الخواجا شمس الدين بن الزمن، ص٧٩-١٠٧.

(٦) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٣٩٣، ٤٢١- ٤٢٤، ٤٢٧.

(٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٠٦.

وهو نفس التاريخ الذي تضمنه نص الإشهاد الخاص بعمائر السلطان قايتباي بالمدينة المنورة الذي غالبًا ما كان يُكتب في نهاية الأعمال تمامًا الذي كان (... في الخامس من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثمان ماية...)[١]، وتكلفة هذه العمارة (مئة وعشرون ألف دينار)[٢].

❐ واجهات الوكالة وملاحقها:

أتاح موقع قطعة الأرض التي بُنيت عليها الوكالة وملحقاتها، بنائها على ثلاث واجهات حرة، شمالية، وشرقية، وغربية أما الواجهة الجنوبية فكانت لصق جار كالاتي:

الواجهة الشمالية:

هي الواجهة الرئيسية وكانت تشرف على شارع باب السلام (شكل١)، ووفقًا للمسقط المساحي للوكالة بخريطة المساحة المصرية (خريطة١)، فقد كانت هذه الواجهة تمتد حوالي مسافة (١٢م تقريبًا)، وكانت مبنية بالحجر الصوان[٣] في شكل مداميك ملونة مبنية بالتناوب الأبيض والأسود[٤]، الذي يعرف بالأبلق[٥]، وتتكون الواجهة من مستويين، السفلي منهما: يضم ثلاثة حوانيت بالجهة الغربية خصصها الواقف للتأجير، واستغلال ريعها للصرف على الملاحق الخدمية بالمجمع، في حين يشغل الطرف الشرقي من الواجهة إحدى واجهتى السبيل الملحق بالوكالة، والذي كان به شباك تسبيل يغشي واجهته بالمصبعات المعدنية،

(١) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٢٨.

(٢) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٤٢٨.

(٣) عنه وعن استخداماته ينظر: أمين وإبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص٣٤.

(٤) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٥) عنه وعن استخداماته ينظر: عبدالحليم، الحجر المشهر، ص١٧-١٨.

ويلاصقه وإلى الغرب من شباك السبيل يوجد زوج من النوافذ التي كانت تمد (قاعة حرامية) على يسار المدخل الرئيسي للوكالة، والمحصورة في الفراغ الواقع بين دهليز المدخل وحجرة التسبيل، بما تحتاجه من الإضاءة والتهوية، وكان يغشى واجهتي هاتين النافذتين مصبعات حديدية، ويدخل إلى هذه القاعة من خلال باب بدهليز الدخول لحجرة التسبيل كما سيرد ذكرها، ويلي هذين الشباكين غرباً ويفصل بين الوحدتين الرئيسيتين على الواجهة الشمالية للوكالة، وهما الحوانيت غرباً والسبيل وملحقاته شرقاً، كتلة المدخل الرئيسي للوكالة (شكل١)، الذي كان من نوع المداخل التذكارية الغائرة متوج بعقد نصف دائري، وعلى جانبي الداخل منه ويشغل القسم السفلي من تجويفه جلستين[١] (مكسلتين) خصصتا لجلوس القائمين على تنظيم حركة الدخول والخروج من وإلى الوكالة وحراستها.

أما المستوى العلوي للواجهة الشمالية الرئيسية للوكالة فكان يتضمن (طاقات) نوافذ خمسة أروقة كانت مخصصة لأغراض السكن لم تحدد الوثيقة أشكالها، كانت في أغلب الظن تشبه مثيلاتها بالمدرسة والرباط المقابلين للوكالة[٢].

الواجهة الشرقية:

وكانت تشرف على زقاق الميضأة (شكل١)، ووفقاً لخريطة المساحة المصرية للوكالة (خريطة١)، فقد كانت هذه الواجهة تمتد من الشمال إلى الجنوب مسافة حوالي (١٥م تقريباً)، وغالباً ما كانت مبنية بالحجر بطريقة المشهر لتتناسب مع طريقة بناء الواجهة الرئيسية (الشمالية) سابقة الذكر، وكانت تمتد على خط واحد، وتضم في طرفها الشمالي أحد شباكي السبيل الذي كان يشغل الزاوية

(١) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٢) Abouseif, Qaytbay 's Madrasahs in the Holy Cities, figre4, p.145.

الشمالية الشرقية من الوكالة، فضلا عن ثلاث نوافذ، غالبًا ما كانت صغيرة الحجم وفي مواضع مرتفعة عن مستوى الشارع، اثنين منها تخص زوج الحواصل الذي كان يشغل الضلع الشرقي من فناء الوكالة، أما النافذة الثالثة فكانت على أغلب الظن خاصة بتهوية وإضاءة بيت الخلاء الخاص بالطابق الأول منها.

أما المستوى الثاني من الواجهة الشرقية فقد كان يضم نوافذ (طاقات) مخصصة لإضاءة وتهوية ثلاثة أروقة معدة للأجرة والسكن[١]، غالبا ما كانت تشبه في تشكيلها المعماري، وتغشياتها مثيلاتها بالمستوى الثاني بالواجهة الرئيسية (الشمالية)، وإن اختلفت في أعدادها.

الواجهة الغربية:

وكانت تشرف على زقاق سقيفة الرصاص (شكل١)، ووفقًا لخريطة المساحة المصرية للوكالة فقد كانت هذه الواجهة تمتد من الشمال إلى الجنوب حوالي مسافة (١٣.٥٠م تقريبًا)، غالبا ما كانت مبنية مثل باقي واجهات الوكالة من الحجر الصوان، وتمتد على خط واحد، ويضم المستوى الأول منها وبقسمه الشمالي زوجا من المداخل، ونافذة، المدخل الأول يفتح على سلم يوصل إلى الطابق الثاني من الوكالة، أما المدخل الثاني فذو واجهة حجرية ويتوجه عتب مستقيم يفتح على سلم يؤدي إلى سطح مطبخ الدشيشة، وبعض مرافقه الملحقة بالوكالة، أما الشباك فقد كانت واجهته يغشيها حجاب من مصبعات حديدية خُصص ليوزع من خلاله (**دشيشة الصدقة**)[٢].

وفيما يلى الدراسة المعمارية للوكالة والوحدات الملحقة بها:

---

(١) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٢) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

❐ **الوكالة (شكل١ – ٣):**

تعد الوكالة الوحدة المعمارية الرئيسية في القسم الجنوبي للمجمع المعماري الذي أنشأه السلطان قايتباي بالمدينة المنورة، ويضم التكوين المعماري لها طابقين خُصص الأرضي منها لتخزين القمح والغلال وغيرها، في حين خُصص الطابق الأول للسكن والإقامة، وأفرد المعماري لكل طابق منهما مدخلا مستقلا بما يتوافق مع استخدام وحداتهما، واحترام خصوصياته واستقلاله عن غيره من وحدات المبنى.

يقع المدخل الرئيسي للمبنى بالقسم الشرقي للواجهة الشمالية، وإلى الغرب من الواجهة الشمالية للسبيل الملحق وواجهة القاعة إلى الغرب منه، وهو من نوع المداخل المباشرة، الذي يتوافق مع طبيعة ووظيفة الفراغ المؤدي إليه، كمنشأة ذات طابع تجاري، وما يتطلبه من ضرورة إدخال السلع والبضائع على ظهور الدواب أو الجمال، وهو ما يجعل المدخل المباشر هو الأنسب لهذه الوظيفة، وهى من السمات المميزة لمداخل العمائر التجارية في العصر المملوكي، سواء بالجزيرة العربية أو في أي قطر أخر كان خاضعاً للحكم المملوكي.

وهذا المدخل كان من النوع المعقود، غالباً ما يكون معقودا بعقد مدبب، نظراً لما يتميز به هذا العقد بالارتفاع مقارنة بغيره من أنواع العقود الأخرى، حيث وصفته حجة الوقف بأنه: (بوابة بعقد مدور وجلستين)[١]، ويكتنف فتحة المدخل مكسلتين أو جلستين مخصصتين لجلوس البواب أو القائم على تنظيم عملية الدخول والخروج من الوكالة وحراستها، وقد خصص له الواقف حجرة لإقامته تقع على يمين الداخل إلى دهليز المدخل الرئيسي، مقابل المدخل المؤدي إلى السبيل

(١) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة ٣١أ.

الملحق بالوكالة: (ويقابل الباب الذي يتوصل منه إلى السبيل حاصل[١] معد لانتفاع كل من يكون بوابا للوكالة)[٢]، وطالما أنه يتقدم المدخل مكسلتين فيعتبر هذا المدخل من النوع التذكاري الغائر.

ويؤدي هذا المدخل، الذي غالبًا ما كان يغلق عليه باب ضخم وسميك من الخشب، داخل دهليز طولي يضم مدخلا بكل من ضلعية. الشرقي: يؤدي إلى وحدة السبيل، والغربي: يؤدي إلى الحاصل أو الحجرة المخصصة لبواب الوكالة (شكل٢)، ويصب الدهليز في جهته الجنوبي داخل فناء الوكالة، الذي يبدو من خلال توزيع الحوانيت أو الحواصل على أضلاعه، وكذلك توزيع أروقة السكن بالطابق الأول من الوكالة – كما سنذكر بعد قليل ان شاء الله – أنه كان مستطيل المسقط ممتدا من الشرق إلى الغرب، أطلقت عليه حجة الوقف مصطلح (رحاب)[٣]، يحيط ويتوزع حوله عشرة حواصل أو حوانيت (اعدها الواقف لخزن قمح الدشيشة والصدقة والزبيب وغير ذلك مما يتعلق بالدشيشة وغلال الصدقة وجرا الصدقة المذكور ذلك بكتاب الوقف المسطر)[٤].

كانت هذه الحواصل وفقًا لاستقراء حجة الوقف ولاسيما طريقة توزيع وحدات الطابق الأول: ثلاثة حواصل بكل من الضلعين الطوليين الشمالي والجنوبي، وحاصلين بكل من الضلعين الشرقي والغربي (شكل٢)، ووفقا لطبيعة ووظيفة هذا النوع من الحواصل، والنمط المعماري السائد في أسلوب بنائها

---

(١) للمزيد عن هذا المصطلح ينظر: أمين وإبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص٣١.

(٢) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٣) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

(٤) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

وتغطيتها في المنشآت التجارية في العصر المملوكي، فإنها غالبًا ما كانت مغطاه بأسقف مقببة.

وكان يتخلل الحواصل المحيطة بفناء الوكالة (كرسي راحة) مخصص لقضاء حاجة المترددين على الوكالة(١)، وأعتقد ووفقًا لتوزيع وحدات الطابق الأرضي للوكالة وملحقاتها (شكل٢) أن كرسي الراحة هذا كان يشغل، غالبًا، الفراغ الشمال الشرقي من فناء الوكالة، حيث يتناسب هذا الموقع مع طبيعة استخدامه ولاسيما قربه من مصدر المياه الرئيسي بالوكالة وهو السبيل الذي يقع إلى الشمال منه، وهو ما يسهل إمداده بما يحتاج إليه من مياه سواء في تزويده أو إزالة ما تبقى فيه من فضلات، حيث إنه يمكن أن توجه إليه المياه الزائدة من حجرة التسبيل وأحواضها، كما أن هذا الموقع لدورة المياه يخدم أيضا بواب الوكالة ومن يسكنون في القاعة الحرمية(٢) الملحقة بالسبيل، وكذلك العاملين فيه.

وما يمكن أن يؤكد ما نعتقده في موقع دورة المياه ما ذكرته حجة الوقف من أنه يفتح على فناء الوكالة (باب يتوصل منه إلى مطبخ دشيشة(٣) الصدقة)(٤) التي كانت تشغل الفراغ الشمالي الغربي للوكالة (شكل٢)، حيث يؤدي هذا المدخل إلى (مطبخ دشيشة الصدقة وهو الذي اعده الواقف نصره الله تعالي لينتفع به في طبخ دشيشة)(٥).

---

(١) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

(٢) قاعة حرميه: قاعة مخصصة للحريم. أمين وإبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص٣٦.

(٣) عن تعريف هذا المصطلح ينظر: رمضان، وثائق مخصصات الحرمين الشريفين، ج٢، ص٢٧١.

(٤) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

(٥) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

ووفقاً للتخطيط المعماري السائد في بناء هذا النمط من المنشآت التجارية خلال العصر المملوكي سواء في مصر أو في غيرها من الأقطار الإسلامية التي كانت خاضعة للسيادة المملوكية، فغالباً ما كان يحيط بفناء الوكالة رواق يتقدم حواصل الطابق الأرضي، ربما كان يغطي بتغطيات مقببة (قباب أو أقبية)، ويمثل سقفه العلوى الممشى الذي يتقدم مداخل وحدات الطابق الأول للمنشأة.

وفكرة إحاطة الفناء برواق من المعالجات التي كانت معروفة في عمائر المدينة المنورة، والتي منها على سبيل المثال كما في رباط المرداني (٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م)، وغيره من المنشآت الأخرى(١).

أما الطابق الأول للوكالة (شكل٣) فيتم الصعود إليه كما تذكر حجة الوقف: (يتوصل إلى علو الوكالة المذكورة وحواصلها من بوابة في رواق سقيفة رصاص)(٢)، أي من مدخل فرعي بالواجهة الغربية للوكالة، ويضم هذا الطابق عشرة أروقة سكنية يضم كل رواق منها جميع مرافقه ومنافعه، وهى موزعة على أضلاع الطابق الأول، بحيث تقع خمسة أروقة منها على امتداد الضلع الشمالي، وتفتح نوافذها على شارع باب السلام، ويقع ثلاثة أروقة منها على امتداد الضلع الشرقي تفتح نوافذها على زقاق الميضأة، في حين يقع الرواقان الآخران على امتداد الضلع الجنوبي للطابق الأول، وتستمد إضاءتها وتهويتها من فناء الوكالة حيث جاء موقعها ملاصقاً لجار وهو الأمر الذي لم يتح لها فتح نوافذ على الخارج وفقاً لما ورد في حجة الوقف، والتي نصت على أنه: (يتوصل من هذه البوابة إلى خمسة أروقة(٣)

(١) مصطفى، المدينة المنورة، شكل١٦٦، ١٦٧، ص٢١٥-٢١٨.

(٢) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

(٣) عن الرواق وانواعه ينظر: أمين وابراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص٥٧-٥٨؛ إبراهيم، وثيقة قراقجا الحسني، ص٢٣٦

كاملة المنافع والمرافق والحقوق[١] مطلة على الشارع وثلاثة أروقة مطلة على زقاق الميضاة ورواقين حبيس)[٢]. وقد حددت وظيفة هذه أروقة الطابق الأول للوكالة بأن (هذه الأروقة العشرة معدة للأجرة والاستغلال)[٣] (شكل٣).

❐ كتلة السبيل والكتاب (شكل ٢):

تعتبر كتلة السبيل والكتاب الملحق به إحدى الوحدات المعمارية الرئيسية الملحقة والمدمجة معماريًا بوكالة السلطان قايتباي بالمدينة المنورة، وإحدى الوحدات المعمارية الأصيلة بالمجمع المعماري، التي كان يقوم بدور مهم في تقديم خدمات الرعاية الاجتماعية إلى المنطقة المحيطة به[٤]، والأسبلة إحدى المنشآت المهمة التي أولاها سلاطين المماليك رعاية خاصة، لما لها من دور كبير في المجتمع[٥]، والجديد والفريد في هذا السبيل أنه ملحق بمنشأة ذات طابع تجاري وهو ما لم يكن مألوفًا في مثيلاته سواء في مصر أو في غيرها من الأقطار التابعة لها خلال العصر المملوكي الجركسي.

ويشغل السبيل الزاوية الشمالية الشرقية من الوكالة (شكل٢)، وقد أعده (... **الواقف- قايتباي- نصره الله تعالي لتسبيل الما به للناس**...)[٦]، وقد بُني السبيل في نفس تاريخ بناء الوكالة وملحقاتها، حيث يندمج ضمن مكوناتها، والتكوين

(١) عن تعريفها وتكوينها المعماري ينظر: نجيب، مدرسة أمير كبير قرقماس، الملحق الوثائقي، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٢) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

(٣) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٤) Briggs, Muhammadan architecture, P.121-122

(٥) للمزيد عن دور المماليك في الاهتمام ببناء الأسبلة، ومكوناتها، والعاملين بها ينظر على سبيل المثال: النجار، الأسبلة المملوكية.

(٦) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

المعماري لهذه الوحدة تتكون من ثلاثة طوابق: الأرضي: صهريج، والطابق الأول: حجرة التسبيل، والطابق الثاني: كتاب (**مكتب السبيل**)(١).

وقد أعُد الطابق الأرضي للسبيل، الذي غالبًا ما كان يقع أسفل مستوى سطح الأرض غير ظاهر للعيان(٢) كـ: (... **صهريج أعده الواقف لخزن الما الذي يسبل للناس بالسبيل المذكور...**)(٣)، ويتوافق حجم الصهريج وفقًا لحجم المنشأة والمساحة المتاحة وإمكانيات المنشئ(٤)، وقد اتخذ إما مسقطًا مربعًا أو مستطيلاً، وكان يغطى – غالبًا – بقباب غير عميقة (قباب مقالية)(٥)، وزود بخرزات لتزويده بالمياه واستخراجه منها وتنظيفه(٦)، وغالبًا ما كانت الصهاريج تبنى بالآجر أو الأحجار المقاومة للرطوبة ومونتها كانت من الخافقي، وهى مونه من الجير والحمرة تقاوم الرطوبة(٧).

أما الطابق الأول: هو حجرة التسبيل فيتم الدخول إليها من خلال مدخل يقع على يسار الداخل من دهليز الدخول الرئيسي للوكالة، حيث يتقدم مدخل حجرة السبيل درجة سلم يصعد به إلى مستوى أرضية الدهليز المؤدي إلى حجرة التسبيل، فقد نجح المعماري بذلك في فصل حركة الدخول إلى الوكالة عن حركة الدخول إلى السبيل والكتاب، حيث يؤدي هذا المدخل إلى دهليز يضم مدخلين: أحدهما

(١) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٢) نجيب، مدرسة أمير كبير قرقماس، الملحق الوثائقي، ص١٧٨.

(٣) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٤) الحسيني، الأسبلة العثمانية، ص ١٩.

(٥) إبراهيم، وثيقة الأمير أخور قراقجا الحسني، ص ٢٣٤؛ نويصر، مجموعة سبل السلطان قايتباي، ص ١٢.

(٦) مبارك، الخطط التوفيقية، ج١، ص٩٧.

(٧) نجيب، مدرسة أمير كبير قرقماس، الملحق الوثائقي، ص١٧٨.

على يسار الداخل (بالضلع الشمالي) يؤدي إلى قاعة تزود بالإضاءة والتهوية من خلال زوج من النوافذ غشيت واجهاتها بمصبعات من الحديد تشرفان على شارع باب السلام، وقد خصصت هذه القاعة والتي أطلقت عليها الوثيقة: (قاعة حرمية... لينتفع بها من يرى ناظر الوقف[١] على ذلك انتفاعه بها من أهل الحر والدين...)[٢]، أما المدخل على يمين الداخل من دهليز الدخول الخاص بالسبيل فيؤدي إلى السلم الصاعد إلى مكتب السبيل بالطابق الثاني لكتلة السبيل، وفي نهاية الدهليز (بالجهة الشرقية) مدخل حجرة التسبيل، وهي ذات مسقط مربع أو مستطيل غُطيت بسقف مستو من الخشب زين بزخارف مذهبه وصفته الوثيقة بأنه: (... مسقف هذا السبيل بسقف مذهب[٣]...)[٤]، وتضم حجرة التسبيل شباكين للتسبيل يغشى واجهاتهما مشبكات (مصبعات) نحاسية[٥]، يطل أحدهما جهة الشرق على زقاق الميضأة، والثاني جهة الشمال على شارع باب السلام الفاصل بينه وبين مدرسة ورباط قايتباي الوحدة الرئيسية في المجمع المعماري الذي أنشأه السلطان قايتباي بالمدينة المنورة، وقد وفق المعماري في اختيار مواضع شباكي التسبيل بما يتوافق مع متطلبات عمارة هذه الوحدة، وتفضيل بنائها في زوايا المنشأة الملحقة بها لتسهيل فتح أكثر من شباك للتسبيل، وفي أكثر أجزاء الواجهة الرئيسية انتظامًا مع خط تنظيم

(١) عن ناظر الوقف ومهامه ينظر: الباشا، الفنون الاسلامية والوظائف، جـ٣، صـ١١١٧-١١٢٥.

(٢) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٣) يستخدم اللفظ في الوثائق للدلالة على التمويه بالذهب، حيث كانت الزخارف والكتابات في الغالب مذهبة، أما الأرضية فكانت غالبًا من اللازورد. أمين وإبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص٥١.

(٤) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٥) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ. وهذا النوع من الشبابيك استخدم بمعظم عمائر السلطان قايتباي لاسيما بمدينة القاهرة. نويصر، منشآت السلطان قايتباي، ج١، ص٨٨.

الطريق حتى لا تعوق تخانات الجدران وظيفة فتحات شبابيك التسبيل[١]، وكذلك في الزاوية التي يتقابل عندها شارعان ذوا كثافة عالية نظراً لقربهما من أبواب المسجد الحرام، والعديد من العمائر الدينية والمرافق الخدمية الأخرى المحيطة به.

وتضم حجرة السبيل وحدات تشغيلها الرئيسية، (... فسقية[٢] وشاذروان[٣]...) والتي غالبًا ما أوجدها المعماري بالجدار الجنوبي لحجرة التسبيل[٤]، حيث تضم دخلة حائطية يثبت بها بوضع مائل لوح الشاذروان الرخامي، يكتنفه عمودان من الرخام مثمنان أو مستديران من حيث الشكل[٥]، يثبت بالدخلة بوضع مائل قليلاً حتى يسهل عملية انسياب المياه، وهو غالبًا ما يكون منقوش السطح تنساب على سطحه المياه لتبرد ثم تجمع في فسقية أو حوض أسفله من الرخام[٦]، ويسمى صدر سفلي، وبأعلى اللوح الرخامي حوض يستقبل الماء من الحاصل الكبير (... وبه حاصل[٧] للما...)[٨] الذي يوجد بجوار فوهة الصهريج، تطلق عليه الوثائق لفظ "قرقل"[٩]، ينساب منه الماء على لوح السلسبيل ليتجمع بأسفله في حوض رخامي تطلق عليه

(١) الكحلاوي، أثر مراعاة اتجاه القبلة، ص١٠٤.

(٢) عن مواضعها وأشكالها ووظائفها ينظر: أمين وإبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص٨٥.

(٣) عنه ينظر: إبراهيم، الوثائق في خدمة الآثار، هامش٤، ص٤٠١.

(٤) حيث أنه الجدار الوحيد بحجرة التسبيل الذي لا يضم فتحات، في الوقت الذي يتخلل الجدارين الشمالي والشرقي شباكي التسبيل، ويتخلل الجدار الغربي مدخل الحجرة من دهليز الدخول الرئيسي للوكالة.

(٥) نجيب، مدرسة أمير كبير قرقماس، ص ٦١٤ – ٦١٥.

(٦) نويصر، مجموعة سبل السلطان قايتباي بالقاهرة، هامش٢، ص١٤.

(٧) عن أشكاله ووظائفه وموقعه ينظر: الحسيني، الأسبلة العثمانية، ص٣٤٠.

(٨) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٩) قرقل: الحوض العلوي بالشاذروان تحت فتحة الماء مباشرة ومنه يتساقط الماء على السلسبيل (الشاذروان) لتبريده. أمين وإبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص٨٩.

الوثائق اسم "طشتية"[١]، حيث يتم من خلاله توزيع الماء إلى أحواض الشرب بأرضية دخلات شبابيك التسبيل عن طريق قصبات مغيبة[٢]؛ وغالبًا ما يعلوه صدر علوي من الخشب المقرنص المدهون.

أما الطابق الثاني لسبيل السلطان قايتباي الملحق بوكالته بالمدينة المنورة فكان عبارة عن الكتاب أو (... مكتب السبيل الذي... أعده الواقف مأوى للأيتام ومؤدبهم الذين يقررون بمكتب السبيل المذكور...)[٣]، والكتاب أحد منشآت الرعاية الاجتماعية التي قامت بدور مهم في المجتمع الإسلامي كما أنه يعد من أبسط التكوينات المعمارية التي لا تحتاج في أداء مهمتها لمواصفات خاصة نظراً لبساطة وظيفتها[٤].

ويتم الوصول إليه من خلال سلم مخصص له يقع على يمين الداخل من الدهليز الخاص بالسبيل – كما سبق وذكرت – وكان الهدف من إنشاء الكتاب هو تعليم الأطفال الصغار من أيتام المسلمين الذين هم دون البلوغ[٥]، بالإضافة إلى ما يبتغيه الواقفون لهذه المباني من نيل المزيد من الرحمة والثواب من وراء هذه الأعمال الخيرية[٦]، وكان يُصرف على الكتاب، ورواتب المؤدبين فيه من نفس الأوقاف التي تُوقف على السبيل[٧].

وأُلحق بالكتاب – غالبًا بالجهة الغربية أعلى ملاحق حجرة التسبيل – حجرة

---

(١) ورد اللفظ في الوثائق المملوكية للدلالة على الحوض الذي يوجد أسفل السلسبيل وقد يكون من الرخام أو الحجر. أمين وإبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص٧٧.

(٢) الحسيني، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، ص٥٧.

(٣) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٤) أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص ٤٤٦.

(٥) أمين وإبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص١١٥.

(٦) الحسيني، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، ص ٩.

(٧) نويصر، مجموعة سبل السلطان قايتباي بالقاهرة، ص٢١.

للمؤدب أو شيخ الكتاب[١]، كما كان يتخلل جدرانه – غالبًا- بعض الدخلات الحائطية التي كانت تستعمل ككتبيات لحفظ الأدوات الكتابية لشيخ الكتاب "المؤدب"، والأطفال الدارسين بالكتاب[٢].

وأيا كان الأمر فتخطيط الكتاب يأخذ نفس تخطيط الطابق الموجود أسفله – حجرة التسبيل – مهما كان شكله، وإذا كانت حجرة الكتاب تشكل التكوين الرئيسي للكتاب فهناك بعض الدخلات بجدرانها – تماما كما يوجد في حجرة التسبيل والمخصصة لأدوات المزملاتي – تخصص لحفظ أدوات المؤدب والأطفال[٣].

ومن خلال أحد اللوحات الأرشيفية[٤] يلاحظ أنه كان يغطى بقبة ربما أضيفت في إحدى التعميرات التي تمت على السبيل والكتاب في الفترة العثمانية حيث تشبه إلى حد كبير تلك القباب التي تغطي الرواق العثماني بالحرم المكي[٥].

وهذا التخطيط المعماري لحجرة السبيل كما وردت في حجة وقف السلطان قايتباي يجعلنا نصنف هذا السبيل أنه من نمط الأسبلة ذات الشباكين والتي شاع بناؤها في العصر المملوكي بمصر، وبلاد الشام وغيرها من الأقطار التي كانت خاضعة للسلطنة المملوكية.

كما أن وجود سبيل ضمن التكوين المعماري لمنشأة تجارية في العصر المملوكي يعتبر نمطًا معماريًا فريداً بالمدينة المنورة، وجاء نتيجة لعاملين رئيسيين

---

(١) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١أ.

(٢) الحسيني، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، ص ٨٦.

(٣) الحسيني، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة، ص٨٦.

(٤) الحارثي، عمارة المدرسة في مصر والحجاز، مج٢، لوحة٥٦، ص٣٥.

(٥) الحارثي، عمارة المدرسة في مصر والحجاز، مج١، ص٢٣٨، ٢٥٠.

على الأغلب، الأول: موقع المنشأة في مواجهة أحد الأبواب الرئيسية للمسجد النبوي، وفي منطقة تتميز بكثافة عددية كبيرة، سواء من المترددين على المسجد النبوي أو من العاملين والمترددين على الأسواق التجارية والحوانيت الكثيفة المحيطة، وغيرهم من طلاب العلم والمتصوفين والمجاورين الذين يقيمون في المنشآت الدينية المختلفة المحيطة بالمسجد النبوي، وقد توافق هذا الموقع مع متطلبات المنشئ ورغبته في توفير المياه المسبلة العذبة لسكان المدينة المنورة، وللمصلين بالمسجد النبوي أملاً في الثواب وتقرباً إلى الله عز وجل.

❐ **مطبخ الدشيشة (شكل ٢):**

تعتبر وحدة مطبخ الدشيشة الوحدة المعمارية الثالثة ضمن التكوين المعماري لكتلة الوكالة، التي تعد فعلياً أحد الأسباب الرئيسية في إنشاء الوكالة، حيث يلاحظ أن نص وقفية السلطان قايتباي أعطاها قدرا كبيرا، فقد حددت أن ريع الحوانيت الثلاثة بواجهة الوكالة يخصص لشراء مستلزمات مطبخ الدشيشة، كما خصصت الحواصل العشرة بالطابق الأرضي للوكالة لتخزين مستلزمات الدشيشة كما سبق وذكرت، وليس هذا وحسب بل إن المصادر التاريخية أكدت هذا المعنى، كما أن السلطان قايتباي أوقف الكثير من الأوقاف في مصر على هذه الوحدة.

فقد أشار ابن إياس إلى هذه الدشيشة بقولة: "لما حج السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) رأى أهل المدينة المشرفة في فاقة زائدة من عدم الأقوات، فنذر أن يفعل بالمدينة خيراً يكون مستمراً من بعده، فأخرج من ماله الخاص ليشترى به ما يوقفه على هذه المدينة من ضياع وأماكن وربوع، وغير ذلك ما يصنع بالمدينة كل يوم من الدشيشة والخبز، وغير ذلك كما يفعل بمدينة الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم شرع السلطان في بناء وكالة على تلك الربوع التي أنشأها في باب

النصر[١]، وفي البندقانيين والخشابيين والدجاجين وغير ذلك من الأماكن"[٢].

كما أشارت حجة وقف السلطان قايتباي المؤرخة بـ ١٥من ذي الحجة سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م، والمحفوظة بأرشيف دار الكتب والوثائق المصرية بالصرف على تجهيز سماط لعمل الدشيشة والبر بالمدينة الشريفة[٣].

ومما يؤكد ما نرمى إليه أن السلطان قايتباي نص ضمن نقش التأسيس الخاص بوكالته بباب النصر بالقاهرة على أنها وقف على الدشيشة بالمدينة المنورة[٤]، حيث نقرأ منه: "بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المكان المبارك سيدنا ومولانا ومالك رقابنا المقام الأعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أعز نصره وجعله وقفًا مصروفًا أجرته على جيران النبي ﷺ بالمدينة يشترى به قمح وتعمل منه الدشيشة للمجاورين والواردين ابتغاء وجه الله)، وهو ما نصت عليه أكثر من وثيقة[٥].، وهكذا يتضح من وظيفة هذه الوحدة أنها كانت معدة لتقديم الطعام وتوفيره بالمجان لرواد المسجد النبوي ومجاوريه، وفقراء المدينة المنورة، وقد فرض الموقع ورغبة المنشئ دمج هذه الوحدة الخيرية ضمن وحدة ذات طابع تجاري وهو أمر يندر أن نجده في مثل هذه المنشآت التجارية في العصر الجركسي.

وقد أشار السمهودي إلى أن السلطان قايتباي قد كتب إلى بعض الثقات بتحصيل تلك الأماكن التي اشتروها في القاهرة، وأن متحصلها سبعة ألاف إردب

---

(١) للمزيد عن هذه الوكالة ينظر: العمري، المنشآت التجارية في القاهرة، شكل١٥، ص١٨١-١٨٧.

(٢) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٦٥.

(٣) حجة وقف السلطان قايتباي، في ١٥من ذي الحجة سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م، أرشيف دار الكتب والوثائق المصرية، أوقاف رقم٨٩٠ ق.

(٤) Abouseif, Qaytbay 's foundation in Medina, p.66.

(٥) إبراهيم، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، ص٢٥٢.

وخمسمائة إردب من الحب في كل سنة[١]؛ وبعد قايتباي، ظل يضاف إلى هذا الوقف من السلاطين اللاحقين فكان كلما تولى أحد السلاطين المماليك أو العثمانيين فإنه يضيف إلى هذا الوقف بعض الأوقاف المتنوعة من أراضٍ ومبان[٢].

وكان بداية العمل في الدشيشة التي أوقفها السلطان قايتباي بالمدينة سابع ذي القعدة الحرام عام ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م، حينما وصل مندوب السلطان قايتباي الأمير بهاء الدين أبو البقاء ابن الجيعان[٣] إلى المدينة الشريفة في ركب مع جماعة من خواصه، ومعه أحمال من كتب العلوم الشرعية موقوفة بالمدرسة الأشرفية، وأحمال كثيرة من الحب والدقيق والقدور النحاس التي خُصصت برسم سماط المدينة، فقرر ابن الجيعان أمر السماط، فصرف لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدد أفراد أسرته، لكل نفر سُبع إردب مصري، وساوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد، وجعل للأفاقيين ما يكفيهم من الخبز وطعام الجشيشة (وهو نوع من أنواع الهريسة) في كل يوم[٤].

وقد حددت حجة وقف السلطان قايتباي وظيفة مطبخ الدشيشة الملحق بوكالته بالمدينة المنورة: (لينتفع به في طبخ دشيشة الصدقة)[٥]، ويتم الدخول إلى مطبخ الدشيشة من خلال باب يفتح على فناء الوكالة بضلعه الغربي(شكل٢)،

---

(١) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٤٢٦. وللمزيد عن المتحصلات التي يتم تحصيلها لحساب وقف الدشيشة في المدينة المنورة ينظر: Abouseif, Qaytbay 's foundation in Medina, p.66-67.

(٢) بيومي، مخصصات الحرمين الشريفين، ص٥٥– ٦١.

(٣) عن ترجمته ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص٨–٩.

(٤) السمهودي، وفاء الوفا، ج٣، ص٤٢٧.

(٥) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

ويضم التكوين المعماري لمطبخ الدشيشة (حاصل كبير أعده الواقف لخزن احتياج الدشيشة المذكورة بجانب باب الدشيشة المذكورة، وبجانبه باب بدرجة يتوصل منه إلى علو سطح الدشيشة، وحاصل من حقوقه أعده الواقف لأحرار احتياج الدشيشة وبجانبه بوابه يتوصل منها إلى دهليز يتوصل منه إلى طاحون)، بالإضافة إلى (حاصل أعده الواقف لخزن حطب الدشيشة)[١].

وبالتالي فإن التكوين المعماري لهذه الوحدة تتكون من زوج من الحواصل لخزن مستلزمات الدشيشة، بالإضافة إلى حاصل أو مستودع لتخزين الحطب المستخدم كوقود بمواقد المطبخ، ولاستكمال متطلبات مطبخ الدشيشة أوجد الواقف طاحون[٢] لزوم طحن القمح والذرة وغيره من متطلبات المطبخ، فقد ذكر السمهودي أن السلطان قايتباي أمر ببناء طاحونه ضمن منشأته بعد أن كان سكان المدينة يقومون بإدارة الأرحاء بالأيدي[٣]، وتصل هذه الوحدة بالمطبخ من خلال دهليز، بالإضافة إلى سلم صاعد لسطح الدشيشة، التي يدخل إليه من خلال مدخل يفتح على زقاق سقيفة رصاص، حيث نصت حجة الوقف على أنه: (بزقاق سقيفة رصاص بوابة مربعة بواجهة حجر يتوصل منها إلى سطح مطبخ الدشيشة)[٤]، وهى من المعالجات الرائعة التي اتبعها المعماري في الفصل بين حركة الدخول لطوابق المبني المختلفة، وهو نفسه ما فعله في حركة الدخول والخروج بطابقي الوكالة كما سبق وذكرت (شكل٢).

---

(١) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

(٢) عن تعريفها ووظيفتها وكيفية تشغيلها ينظر: أمين وإبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ص٧٥.

(٣) السمهودي، وفاء الوفا، ج٢، ص٤٢٦.

(٤) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

ويلاحظ من خلال نص الوقفية وتوزيع وحدات الطابق الأول للوكالة أن الضلع الغربي للطابق الأول كان كشفاً وبدون وحدات رئيسية، وذلك ربما نتيجة لوجود مطبخ الدشيشة يشغل الطابق الأرضي بهذا الضلع، وبالتالي فإن ما ينبعث من هذه الوحدة من أدخنة يصعب معه إيجاد ملاحق سكنية بطابقها الأول مثل باقي أضلاع الطابق كما سبق وذكرت، ولعل هذا ما قصده الواقف عند وصفه للسلم الصاعد لهذا الضلع بأنه (يتوصل منها إلى سطح مطبخ الدشيشة ومأوى حقوقه)[١].

واستكمالاً لتخطيط ووظيفة مطبخ الدشيشة فقد أوجد المعماري بالواجهة الغربية المطلة على زقاق سقيفة رصاص شباكا ذا حجاب من مصبعات حديدية خصصه لتوزيع دشيشة الصدقة[٢]، ولعل في اختياره لهذا الموضع ما يبين لنا تطور الفكر المعماري ومواكبته للوظيفة التي تؤديها الوحدة والعنصر المعماري وبما يتناسب مع طبيعة الموقع وشبكة الشوارع الرئيسية والفرعية حوله، فقد ربط المعماري بين المكان المخصص لتوزيع دشيشة الصدقة بمكان إنتاجه، وجعل هذه العملية تتم بعيداً عن حركة الدخول والخروج من وإلى المسجد النبوي الشريف، نظراً لما يمكن أن يسببه وقوف المستفيدين أمام الشباك من إعاقة الحركة بالطريق.

ويبدو من خلال خريطة المساحة المصرية (خريطة١)، (شكل١) حرص المعماري على تغطية امتداد الزقاق الذي يتقدم الواجهة الغربية للوكالة بسقيفة سُمى بها وعرف بـ(زقاق سقيفة الرصاص)، وهو ما ساعد على توفير أكبر قدر من الظلال للمترددين على شباك الدشيشة لاستلام حصتهم من سكان المدينة وزوارها.

---

(١) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

(٢) وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، ورقة٣١ب.

الخاتمة والنتائج

تناول هذا البحث دراسة وثائقية معمارية لأحد المنشآت التجارية بالمدينة المنورة التي شيدت خلال العصر المملوكي الجركسي من قبل السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي، والتي كانت ضمن المجمع الديني والخدمي الضخم الذي شيده خلال الفترة (٨٨٦-٨٨٨هـ/ ١٤٨١- ١٤٨٣م) أمام وضمن عمارته للمسجد النبوي الشريف بعد الحريق الذي أصابه، وكان هذا المجمع يضم مدرسة، ورباطا، بالجانب الغربي في المسافة بين باب السلام وباب الرحمة، يقابلهم وينفصل عنهم عبر شارع باب السلام إلى الجنوب منهما وكالة ملحق بها مجموعة من الملحقات المعمارية ضمت مجموعة من الحوانيت، وسبيل يعلوه كتاب من نوع السبيل ذي الشباكين، وكذلك مجموعة من الرباع والوحدات المخصصة للسكن والإيجار، بالإضافة إلى مطبخ للدشيشة وطاحونة، وعدد من المرافق الخدمية، وخلصت هذه الدراسة إلى مجموعة نتائج من بينها:

- أوضحت الدراسة أثر منشآت السلطان قايتباي بالمدينة المنورة في تطور ورسم ملامح عمرانها خلال العصر المملوكي الجركسي.

- بينت الدراسة أن عمارة الوكالة ضمت بالإضافة إلى الوحدات ذات الوظيفة التجارية سبيل يعلوه كتاب، ومطبخ للدشيشة، ومجموعة من الوحدات السكنية المعدة للإيجار.

- أوضحت الدراسة أن الهدف الرئيسي من إنشاء هذه الوكالة وملحقاتها ليس الربح المادي وإنما تقديم الخدمات الخيرية لسكان المدينة المنورة وزوارها غير القادرين.

– أكدت الدراسة الأثر الواضح لموقع الوكالة، ورغبة المنشئ في تخطيطها، وما تضمه من ملاحق مختلفة الوظيفة.

– بينت الدراسة تفرد وكالة قايتباي بالمدينة المنورة باشتمال مخططها على وحدات سبيل وكتاب ومطبخ خيري التي غالبًا ما توجد في العصر المملوكي ضمن منشآت دينية أو مستقلة.

– توصي الدراسة بضرورة حصر وتجميع وثائق وحجج وقف المدينة المنورة خلال العصر المملوكي، ومحاولة رسم ملامح عمرانها وأبرز منشآتها ووظائفها خلال هذه الفترة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

- وثيقة وقف السلطان برسباي أرشيف وزارة الأوقاف المصرية، رقم ٨٨٠ ق، مؤرخة في ١٦ من جمادي الآخر ٨٢٧هـ.

- وثيقة وقف السلطان قايتباي، في ١٥من ذي الحجة سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م، أرشيف دار الكتب والوثائق المصرية، أوقاف رقم٨٩٠ ق.

- وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، مؤرخة في ١٦ ذي الحجة عام ٨٩١هـ، سجل عربي ١١١٨.

ثانياً: المصادر العربية:

- أبوشامة، شهاب الدين أبي محمد عبدالرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥ه)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع. المعروف بالذيل على الروضتين، ط١، مكتب نشر الثقافة الاسلامية، القاهرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

- ابن اياس، أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، من ج١: ٣، طبعة بولاق، وجزأ ٤، ٥، ط٢، نشر محمد مصطفى، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٣م؛ وطبعة مطابع الشعب، ١٩٦٠م.

- الإسحاقي، محمد بن عبدالمعطي (ت١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م)، لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، مطبعة المليجي، القاهرة، ١٣٥٣هـ.

- الجزيري، عبدالقادر بن محمد (توفي بعد ٩٧٦هـ/ ١٥٦٩م)، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٤هـ.

- الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن العماد (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات

الذهب في أخبار من ذهب، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

– السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الناشر أسعد طرابزوني، المدينة المنورة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

– السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

– السمهودي، نور الدين علي بن عبدالله السمهودي (ت٩١١هـ)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي فرع موسوعة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

– القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

– مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها الشهيرة، بولاق، ١٣٠٥هـ.

– المقريزي، تقى الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٦م – ١٩٥٨م.

– الملطي، عبدالباسط بن خليل بن شاهين ٨٤٤هـ–٩٢٠هـ، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال عز الدين علي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

– النابلسي، الحقيقة والمجاز، في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز،

تقديم عبدالمجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

- النجم عمر بن فهد، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد ٨١٢هـ-٨٨٥هـ، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق وتقديم عبدالكريم على باز، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ثالثاً: المراجع العربية:

- إبراهيم، عبد اللطيف، وثيقة الأمير أخور قراقجا الحسني: دراسة ونشر وتحقيق؛ مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٨، ع٢، ١٩٥٦م.

- إبراهيم، عبد اللطيف، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، بحث منشور ضمن أعمال المؤتمر الدولي لتاريخ الجزيرة العربية، جامعة الرياض، ١٩٧٩م.

- أبو الفتوح، محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك، دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ١٩٨٠م.

- الانصاري، عبدالقدوس، آثار المدينة المنورة، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٥٣هـ.

- الباشا، حسن، الفنون الاسلامية والوظائف، القاهرة على الأثار العربية، ١٩٦٦م.

- بدرشيني، أحمد هاشم أحمد، أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية - حضارية- وثائقية من واقع دور أرشيف القاهرة، دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

– بيومي، محمد علي فهيم، مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني (من ٩٢٣– ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧–١٨٠٥م)، ماجستير، جامعة الأزهر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٧م.

– الحارثي، عدنان محمد فايز، عمارة المدرسة في مصر والحجاز (في القرن (٩هـ/ ١٥م) دراسة مقارنة، دكتوراة مطبوع، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

– الحسيني، محمود حامد، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ١٥١٧–١٧٩٨م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م.

– رمضان، مصطفى محمد، وثائق مخصصات الحرمين الشريفين إبان العصر العثماني، ضمن بحوث مصادر تاريخ الجزيرة، جامعة الرياض، ١٩٧٩م.

– شافعي، حسين عبدالعزيز حسين، الخواجا شمس الدين بن الزمن ودوره الحضاري والعمراني في بلاد الحرمين الشريفين في عهد السلطان قايتباي "دراسة تاريخية – حضارية"، المجلة المصرية للآثار الإسلامية (مشكاة)، العدد الخامس، ٢٠١٠– ٢٠١١م.

– الشهري، محمد هزاع، عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي ٦٤٨هـ – ٩٢٣هـ، ماجستير منشور، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

– عبدالتواب، عبدالرحمن محمود، قايتباي المحمودي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الأعلام (٢٠)، ١٩٧٨م.

– عبدالحليم، سامي أحمد، الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المماليك

بالقاهرة، ط١، الوفاء للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- العمري، أمال احمد حسن، المنشآت التجارية في القاهرة في العصر المملوكي، مخطوط دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م.

- الكحلاوي، محمد محمد، أثر مراعاة اتجاه القبلة وخط تنظيم الطريق على مخططات العمائر الدينية المملوكية بمدينة القاهرة، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد السابع، ١٩٩٦م.

- مصطفى، صالح لمعي، المدينة المنورة – تطورها العمراني وتراثها المعماري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

- النجار، تامر مصطفي محمد، الأسبلة المملوكية الباقية بمدينة القاهرة – دراسة أثرية فنية، مخطوط ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠١٢م.

- نجيب، مصطفى، مدرسة أمير كبير قرقماس، مخطوط دكتوراة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

- نويصر، حسني محمد، مجموعة سبل السلطان قايتباي بالقاهرة، مخطوط ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م.

- نويصر، منشآت السلطان قايتباي الدينية بمدينة القاهرة دراسة معمارية وأثرية، مخطوط دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

- **Abouseif, Doris Behrens**, Qaytbay 's foundation in Medina, the Madrasah, the Ribat and the Dashishah, Mamluk studies review, Middle East Documentation Center

(MEDOC), vol.2, The University of Chicago, 1998.

- **Abouseif, Doris Behrens**, Qaytbay 's Madrasahs in the Holy Cities and the Evolution of Haram Architecture, Mamluk studies review, Middle East Documentation Center (MEDOC), III, The University of Chicago, 1999.

- **Briggs (M.),** Muhammadan architecture in Egypt and Palestine, Oxford, 1924.

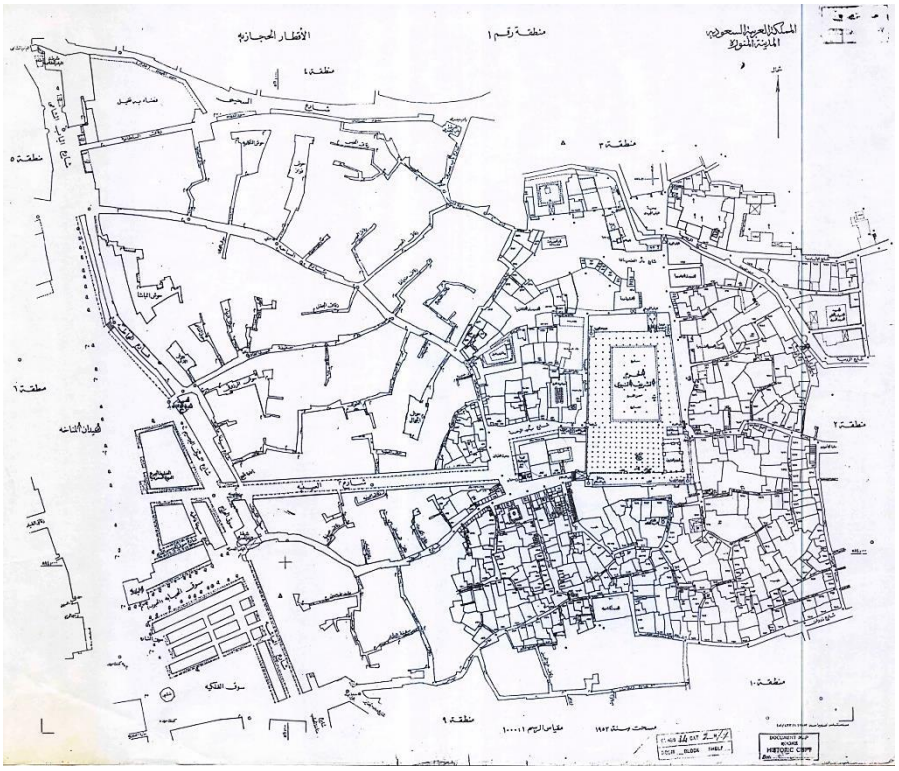

خريطة (١)

خريطة مساحية للحرم المدني الشريف والأحياء المحيطة به عام ١٩٥٢م (مقياس رسم ١: ١٠٠٠). (عن هيئة المساحة المصرية).

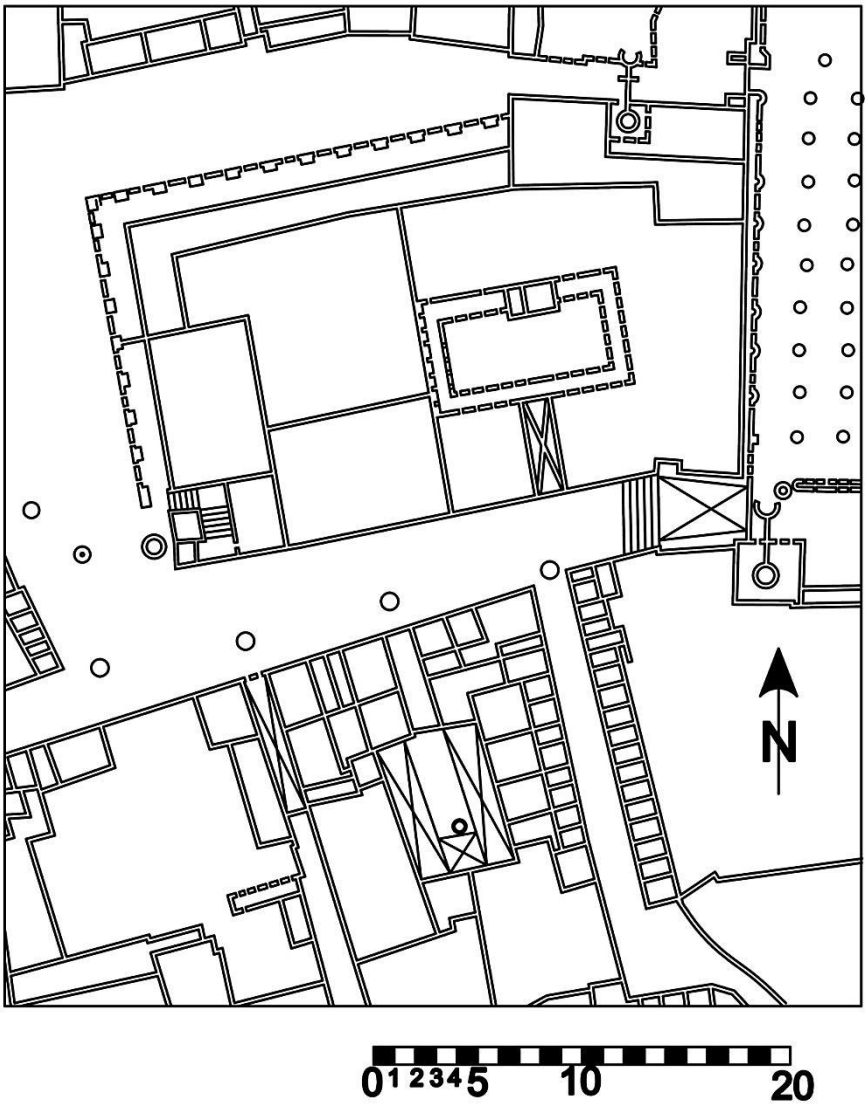

شكل (١)

وكالة قايتباي في المدينة المنورة: خريطة مساحية من واقع حجة الوقف، وخريطة المساحة المصرية عام ١٩٥٢م تبين موقع المجمع بالنسبة للمسجد النبوي.

(عمل بمعرفة الباحث)

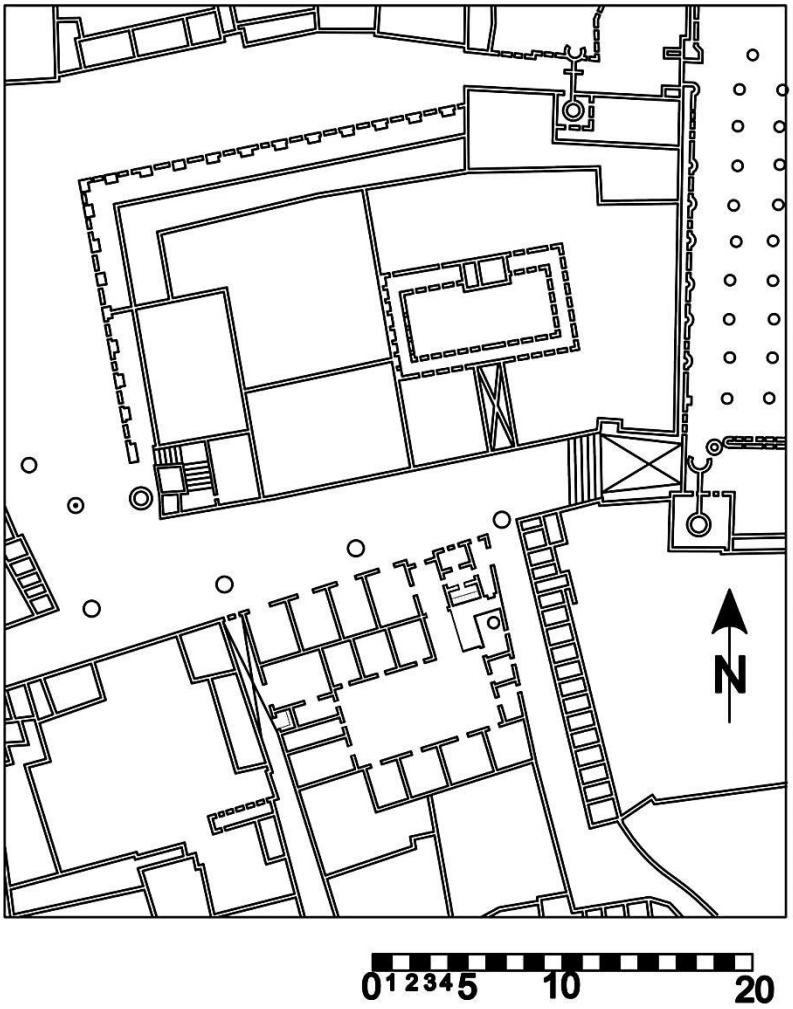

شكل (٢)

وكالة قايتباي في المدينة المنورة: المسقط الأفقي للطابق الأرضي من خلال حجة الوقف، وخريطة المساحة المصرية عام ١٩٥٢م.

(عمل بمعرفة الباحث)

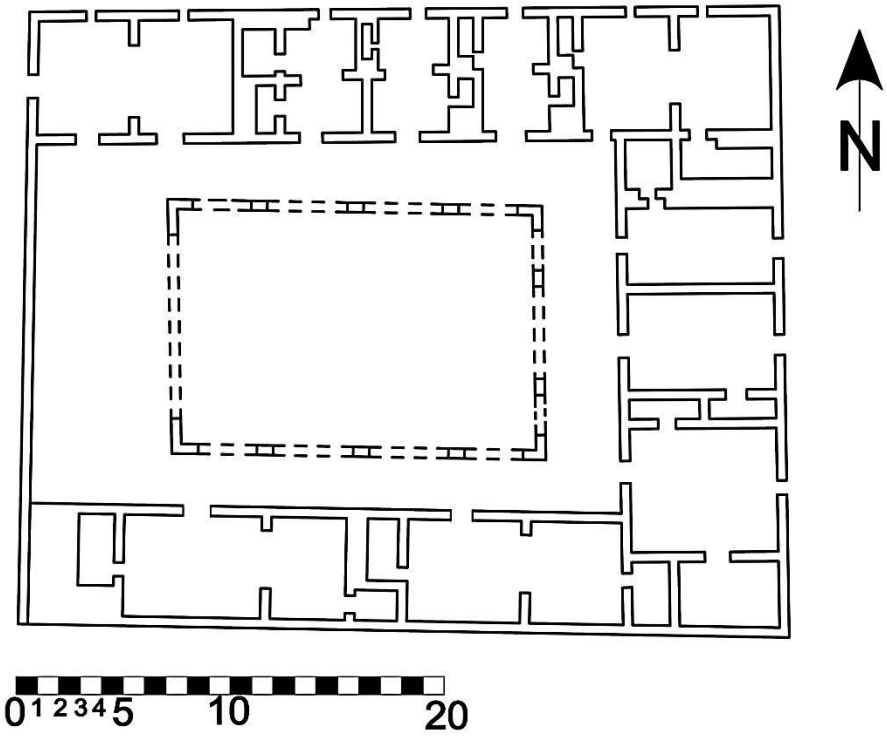

شكل (٣)

وكالة قايتباي في المدينة المنورة: المسقط الأفقي للطابق الأول من خلال حجة الوقف. (عمل بمعرفة الباحث)

30

المسجد الشريف يهبط منه بسلم الى المسجد الشريف وحصص هذه
العمارة الموصوفة باعاليه حدود اربعة ، الحد القبلي ينتهي الى
الشارع المتوصل منه الى باب السلام واوله من باب السلام الى بوابة
الباسطية ، والحد الشامي ينتهي الى الشارع المتوصل منه الى باب
الرحمة الفاصل بين هذه العمارة وبين المكان المعروف بالحذام وسكن
ياسين ومحمود الشكيل واوله من باب الرحمة احد ابواب المسجد
الشريف النبوي واخره بوابة الحواسه ، والحد الشرقي ينتهي الى
الى جدار المسجد الشريف النبوي ، والحد الغربي ينتهي بعضه
الى المدرسة الحوانيه وباقيه الى المدرسة الباسطية وهذه العمارة
الاولى الموصوفة باعاليه كان قايما مقامها ثلاثة اماكن قديمة البنا
احدها يعرف بالحصين العتيق والثاني يعرف بدار الحدام وبداد
الشباك والثالث يعرف بقاعة الحواسة فهدم الواقف نضر الله تعالى
بناها هذه الاماكن الثلاثة بعد ان ملكها بمقتضى مستندات شرعية الوكالة
وانشأ على ارضها العمارة الموصوفة باعاليه وحضمت المستندات والحواست ومطرح الدبش وسمع ذلك بالمدرسة الواقفية
المذكورة بقضية هذا الوقف حضما شرعيا موافقا لتاريخه وشهوده
والعمارة الثانية من العمائر الثلث التي بالمدرسة الشريفة المذكورة
اعلاه خط الشارع المتوصل منه الى باب السلام احد ابواب المسجد
الشريف النبوي على مشرفه افضل الصلاة والسلام بجاه المدرسة الموصوفة

بداية النص الخاص بالوكالة وملاحقها

(نقلا عن: وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، سجل عربي ١١١٨، ورقة ٣٠)

اعلاه تشتمل على واجهة مبنية بالحجر الصوان المشهر بالابيض والاسود
باول هذه الواجهة من ناحية السوق ثلاثة حوانيت معدة للاجرة
والاستغلال وبوابة بعقد مدور وحلستين يتوصل من بابها
الى دهليز به درجة يتوصل منها الى بوابه يدخل منها الى سبيل
اعده الواقف نضر الله تعالى لسبيل الماء به للناس يشتمل هذا
السبيل على فسقية وشادروان وشاكين نحاسا مطلين على الشارع
الفاصل بينه وبين المدرسة والمبيضاه المذكورين مسقف هذا
السبيل بسقف مذهب وبه حاصل للماحته صهريج اعدها الواقف
لخزن الماء الذي يسبل للناس بالسبيل المذكور وبدهليز السبيل
المذكور قاعة حرمية بشاكين حديد امطلين على الشارع اعدها
الواقف لينتفع بها من يري الناظر على ذلك انتفاعه بها من اهل
الخير والدين وبالدهليز المذكور سلم يتوصل منه الى مكتب السبيل
الذي هو علو هذا السبيل اعده الواقف ماوي للايتام ومودبهم
الذين يقررون بمكتب السبيل المذكور ثم يتوصل من بقية هذا
السلم الى رواق كبير بطاقات مطلات على الشارع اعده الواقف
نضر الله تعالى سكنا لمن يري الناظر سكناه بذلك من اهل الخير والدين
ويقابل الباب الذي يتوصل منه الى السبيل حاصل معد لانتفاع
كل من يكون بوابا للوكالة الاتي ذكرها من غير اجر ثم يتوصل من

دهليز

31

دهليز العمارة المذكورة الي رحاب مسدر بعشرة حواصل اعدها الواقف
لخزن قمح الدشيشة والصدرقة والرهب وغير ذلك مما يتعلق بالدشيشة
وعلاف الصدقة وحرا الصدقة المذكور ذلك بكتاب الوقف المسطر
اعلاه بجوار الحواصل المذكورة كرسي راحة معد لقضا الحاجة ممر ماوي
الوكالة المذكورة وباب يتوصل منه الي مطبخ دشيشة الصدقة
وهو الذي اعده الواقف نضره الله تعالى ليتنفع به في طبخ دشيشة
الصدقة المذكورة اعلاه ثم يتوصل الي علو الوكالة المذكورة وحواصلها
من بوابة في رواق سقيفة رصاص يتوصل من هذه البوابة
الي خمسة اروقة كاملة المنافع والمرافق والحقوق مطلة علي الشارع
وثلاثة اروقة مطلة علي زقاق المبيضاء وروافين حبس وهذه
الاروقة العشرة معدة للاجرة والاستغلال وبزقاق سقيفة رصاص
بوابة مربعة بواجهة حجر يتوصل منها الي سطح مطبخ الدشيشة
وماوي حقوقه وبهذه الواجهة شباك حديد اعده الواقف
ليفرق منه دشيشة الصدقة المذكورة وبالمطبخ المذكور حاصل كبير
اعده الواقف لخزن احتياج الدشيشة المذكورة بجانب باب الدشيشة
بوابة يدخل منها الي حاصل اعده الواقف لخزن حطب الدشيشة
المذكورة وبجانبه باب بدرجة يتوصل منه الي علو سطح الدشيشة
وحاصل من حقوقه اعده الواقف لاحرار احتياج الدشيشة وبجانبه

وصف حجة الوقف للتكوين المعماري للوكالة وملحقاتها.

(نقلا عن: وثيقة وقف قايتباي، المكتبة الوطنية الفرنسية، سجل عربي ١١١٨، ورقة ٣١ أ، ب)

لوحة (١)

لوحة أرشيفية لشارع باب السلام ويلاحظ كتلة السبيل الملحقة بالوكالة على يمين الصورة.

(نقلاً عن: البتانوني، الرحلة الحجازية، ص٢٣٧-٢٣٨).

Caravansarai (Wakalah) Sultan al-Ashraf Qaitbey and its architectural extensions at Al- Madinah Al-Monawwarah (886-888 H / 1481-1483 AD):

a documentary architectural study

Dr.Yasser Ismail Abdul Salam Saleh
Dr. Adnan bin Mohammed Fayez Al Harthy

Abstract

This paper is a cultural historical and architectural documentary study of one of the Mamluk defunct commercial establishment which was part of the huge architectural complex built by Sultan Al-Ashraf Abu al-Nasr Qaitbey in Madinah in 886-888h / 1481-1483 AD. This complex had an obvious role in the evolution of the civic features on the area around the Prophet's mosque as well as the city of Madinah during the Mamluk Jerxi era which is reflected on the evolution of social, cultural, and economic life of the city during that period. The architectural complex consists of a school, abode (rebat), and the caravanserai. The study focuses on the recent unit (wakalah) and its annexes (caravansarai) through what has been stated in historical resources, as well as its precise description in the document of Sultan Qaitbey endowment (waqf(with an attempt to visualize its design and annexed units.

Key words:

Madinah, Sultan Qaitbey, documents, caravansarai, waqf.

التباينات المكانية للمضاعفات المرضية المقترنة بمرض السكري بمدينة عنيزة

أ. بدرية محمد الحربي
طالبة دراسات عليا/ جامعة القصيم/ قسم الجغرافيا
أ. د. مساعد بن عبد الرحمن الجخيدب
قسم الجغرافيا / جامعة القصيم
jukaideb@hotmail.com

تاريخ التحكيم: ١٢/ ٣/ ١٤٣٨ تاريخ الإفادة: ٢٣/ ٦/ ١٤٣٨

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى معرفة حجم وطبيعة التوزيع المكاني لمرض السكري والأمراض والمضاعفات المصاحبة له في نطاق مراكز الرعاية الصحية الأولية بمدينة عنيزة، في محاولة لمعرفة العلاقة بين معدلات الإصابة بالسكري، وحجم الإصابة بالأمراض والمضاعفات المصاحبة، ومدى تأثير المتغيرات الاجتماعية الخاصة بالتعايش مع المرض بالنسبة للمرضى في عينة الدراسة البالغة ٧٦٣ مريضا بالسكري. وخلصت الدراسة إلى وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في مضاعفات مرض السكري بين مراكز الرعاية الصحية الأولية عند مستوى دلالة ٠.٠٥.

الكلمات المفتاحية:

مدينة عنيزة، مرض السكري، مضاعفات السكري، توزيع السكري، متغيرات السكري.